دلالة انحراف بنية الاستفهام في القرآن الكريم في ضوء نظرية الاستلزام الحواري

The significance of the deviation of the interrogative structure in the Noble Qur'an according to the theory of conversational imperatives

د.حفناوي شيخة*

جامعة العربي بن مهيدي (أم البواقي)

hafnaoui1982@gmail.com

تاريخ الارسال:19-09-2022	تاريخ التقييم:22-12-2022	تاريخ القبول:30- 12- 2022

الملخص:

الاستلزام الحواري يعد من المصطلحات الهامة في النظرية التداولية الحديثة، والتي تبحث عن الدلالة الخفية، أو المعنى الخفي الذي يلازم المعنى الظاهر، وقد تبلورت هذه المفاهيم على يد (غرايس) منطلقا من فكرة الأفعال غير المباشرة التي ربطها بأساليب الحوار والمحادثة، جمع البحث هذه المعاني في رؤية واحدة، ثم درس دلالة الانحراف في بنية الاستفهام في القرآن الكريم في ظل مبادئ نظرية الاستلزام الحواري المساعدة على فهم معاني الاستفهام في آيات من القرآن الكريم التي اشتملت على معاني صريحة ومباشرة ومعاني مستلزمة غير مباشرة، تستنبط من خلال السياق التداولي لها.

كلمات مفتاحية: الاستلزام الحواري؛ بنية الاستفهام؛ التداولية؛ السياق؛ القرآن الكريم.

Abstract :

Conversational imperatives are one of the important terms in the modern pragmatic theory, which searches for the hidden significance, or the hidden meaning that accompanies the apparent meaning. In one vision, then he studied the significance of the deviation in the interrogative structure in the Noble Qur'an in light of the principles of the theory of dialogical imperatives to help understand the meanings of questioning in verses from the Noble Qur'an that included explicit

and direct meanings and implied meanings indirectly, deduced through its deliberative context.

Keywords :Conversational imperatives ; interrogation structure ; pragmatics ; context ; Qur'an.

*المؤلف المراسل:

مقدمة:

الاستلزام الحواري نظرية لسانية تقوم على فكرة المحادثة، فتحت بابا واسعا في تطوير التداوليات اللسانية، لكونها تهتم بإظهار المعاني الخفية للخطاب، لأنّ بعض النصوص لا تتحدد دلالتها بالظاهر، حيث يكون الظاهر ممرا للوصول إلى المعنى المستلزم.
فعملية الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى السياقي هي التي يطلق عليها بول غرايس ظاهرة الاستلزام الحواري، حيث اقترح مفهوم مبدأ التعاون وأخذه بعين الاعتبار في كل عملية تخاطبية.

أولا. الاستلزام الحواري

الاستلزام الحواري هو أحد أبرز المظاهر اللغوية في الدرس التداولي الغربي الحديث، وهو " لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر أو قل إنّه شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه ولا يكون جزءا ممّا تعنيه الجملة بصورة حرفية."[1]

يعني أنّ جمل اللغات الطبيعية في بعض المقامات تدل على معنى غير محتواها القضوي، أي أنّ هناك جملا تدلّ على معنيين اثنين في الوقت نفسه، أحدهما حرفي و الآخر مستلزم.[2]

يظهر أنّ المعاني ليست دائما صريحة، بل هناك حالات سياقية، تستدعي عدم التصريح [3] و الكلام المباشر فأحيانا يذكر المعنى مباشرة، و أحيانا لا يذكر مباشرة، وإنّما يفهم من دلالة ضمنية، تلميح، تعريض، كناية...الخ.

ظهر مفهوم الاستلزام الحواري مع غرايس (Paul Grice) الذي حاول أن يضع نحوا قائما على أسس تداولية للخطاب، يأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسسة لعملية التخاطب، فهو يؤكد أنّ التأويل الدلالي للعبارات في اللغات الطبيعية أمر متعذر إذا نظر فيه فقط إلى الشكل الظاهري لهذه العبارات[4]،فالناس في حواراتهم حسب غرايس بحالات ثلاثة:

- قد يقولون ما يقصدون
- قد يقصدون أكثر مما يقولون
- قد يقصدون عكس ما يقولون[5]

والحالة الثانية لهم هي التي تعبر عن مضمون الاستلزام الحواري، الذي يرتبط بمعنى متضمن يرمي إليه المتكلم في حواره مع المتلقي.قد يفهمه هذا الأخير وقد لا يفهمه إلا بقرائن معينة.

وهو ذاته ما يشير إليه أحمد المتوكل حين يقول:"لاحظ غرايس أنّ جمل اللغات الطبيعية يمكن في بعض المقامات، أن تدلّ على معنى غير المعنى الذي يوحي به محتواها القضوي (أو معناها الحرفي)..."[6]، إذ لا يأتي مما تتضمنه الجملة في شكلها الظاهر، بل هو معنى آخر يرتبط بكل ما يحيط بإنتاجها من سياقات، ويدرج غرايس ذلك في تصنيف عام للمعاني التي يمكن أن تدلّ عليها العبارات اللغوية[7]

إنّ نقطة الانطلاق عند غرايس هي:أنّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون. فجعل كل بحثه من أجل إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد، إذ ما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بصيغتها اللفظية، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يُبلغَه للسامع بشكل غير مباشر، اعتمادا على أنّ السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم، بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، فأراد أن يقسم مبدأ ما يحمله القول من معنى صريح، وما يحمله من معنى متضمن، فنشأت عنده فكرة الاستلزام[8]

إنّ ما كان يشغل تفكير غرايس هو: كيف يكون ممكنا أن يقول المتكلم شيئا ويعني شيئا آخر؟ ثم كيف يكون ممكنا أيضا أن يسمع المخاطب شيئا ويفهم شيئا آخر؟

ولأجل ذلك وجد حلا لهذا الإشكال وهو ما أسماه بمبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب، وهو مبدأ حواري عام، يشتمل على أربعة مبادئ (قواعد) تضبط التخاطب في المقامات العادية، ويقترح " غرايس" أن توصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي انطلاقا من مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه، باعتبار أنّ مصدر الاستلزام هو الخرق المقصود لإحدى القواعد الأربعة مع احترام المبدأ العام وهو مبدأ التعاون[9]

ويقوم التعاون على أربعة مبادئ فرعية هي:

1- الكم: اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون زيادة أو نقص.

2- الكيف: لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه.

3- المناسبة:اجعل كلامك ذا علاقة بالموضوع

4-الطريقة: كن واضحا ومحددا، فتجنب الغموض واللبس، وأوجز ورتّب كلامك.[10] فيتولد الاستلزام الحواري من انتهاك بعض مبادئ الحوار. فإنّ انتهاك أحدها مؤشر إلى هدف المتكلم المستلزم في ظاهر كلامه، فينشأ الاستلزام عندما "لا يرضي الجواب بصفة معقولة ما جاء في السؤال من طلب ثم التعبير عنه"[11]

فمبدأ التعاون مبدأ فلسفي، أدخله غرايس إلى التداولية وقال أنّ نجاعة الخطاب والوصول إلى حوار مثمر لا يمكن إلا من خلال هذا المبدأ. والذي يتفرع بدوره إلى أربع قواعد أو كما تسمى أيضا بالأسس والمسلمات و الاستلزام الحواري إنما يحصل في حالة ما إذا كان هناك خرق لإحدى هذه القواعد، أو انتهاك شرط من الشروط التي تنبني عليها، أمّا إذا طبقت هذه الشروط دون أن يكون هناك فرق أو انتهاك تحقق عندها الفعل اللغوي، وعلى الرغم من انتفاء أحد مسلمات هذا المبدأ الحواري العام، إلا أنّ هذا لا يمنع البتة تحقق "مبدأ التعاون".

يسهم هذا المبدأ العام في تسهيل التفاهم وتحقيق التأثير وانجاز الفعل، ويجب على المتكلم "أن يراعي المخاطب في كل ما يأتي. ويدّعي لغويا ونفسيا واجتماعيا وثقافيا، بل إنّه يُسَخر في ذلك ما يعين في التبليغ بالإشارة والملامح ليجد من المخاطب نفسه متعاونا متمثلا في الإصغاء ومحاولة الفهم"[12]

نخلص في النهاية إلى أنّ الاستلزام الحواري مصطلح لساني مركب من لفظتين: الاستلزام وهو الاسم و الحواري وهو صفة هذا الاسم يحمل معنى مركبا خلاصته هي: أنّ هناك عملية عقلية تسعى إلى فهم معنى الحوار المضمر عن طريق العبور من المعنى الظاهر إلى معنى ثان ملازم للمعنى الأول يقصده المتكلم، و الدليل عليه عدم الالتزام بقواعد الحوار أو بإحداها.

فهناك معنيان لازم وملزوم، ليس الاستلزام معنى واحد. إذ لا يمكن أن يتحقق الاستلزام إلا بالمعنيين معا. وغاية الاستلزام هي السعي للامساك بذلك المعنى غير المباشر.

ثانيا. أقسام الاستلزام الحواري

الاستلزام الحواري على نوعين:

1- **استلزام معرفي**: ونعني به كون مجموعة من الألفاظ تستلزم معاني معينة بشكل دائم، مهما اختلفت مقامات الخطاب وتنوعت السياقات، مثل لفظة "لكن" ويقابلها في الانجليزية "but"، فهذه اللفظة يكون دائما معناها مخالفا لتوقعات المخاطب، فلا يحتاج المتكلم إلا

إلى المعرفة بقوانين التركيب ودلالات الألفاظ المعجمية للوصول إلى المعاني، وبمعنى آخر فهي استلزامات محادثية معممة، تعتمد على الوحدات اللغوية وحدها مستقلة عن السياق[13]

2- **استلزام حواري**: وهو عبارة عن استلزامات محادثية مخصصة فهو متغير دائما بتغير السياقات[14]، فهي متعلقة بتمكن طرفي الخطاب من المعلومات الخلفية التي تكون المعارف المشتركة.

والبحث يختص بدارسة الاستلزام الثاني الذي يتجاوز المبادئ الحوارية الغرايسية، ويؤسس لمعان مستورة لا تفهم من لغة الحوار مباشرة، بل تفهم من طبيعة الحوار ومبادئه وسياقاته.

ثالثا. مبادئ الحوار

يرى غرايس أنّ كلّ عملية تحاور بين طرفين تحتكم إلى مجموعة من القوانين والقواعد والمبادئ العامة، التي يحتكم إليها طرفا الخطاب، وتكون هذه القوانين محترمة من قبل طرفي الخطاب، و تحدد تلك القوانين ما يجب أن يفعله المساهمون في الحدث اللغوي بأقصى طريق تعاوني عقلي كاف و أيّ خرق لتلك القوانين يؤدي إلى اختلال المعنى، وحدّد غرايس هذا المبدأ و أطلق عليه مبدأ التعاون الذي تتفرع عنه مجموعة من القواعد وهي كالآتي[15]:

1. **مقولة الكم**: أي اجعل كلامك على قدر المعلومات المطلوبة، لا زيادة فيه أو نقصان، فلو أنّ إحدى الأمهات سألت ابنها: هل نظفت أسنانك وغسلت ثيابك ؟ وأجابها بأنّه نظف أسنانه وسكت، فهنا أخل بقاعدة الكم، لأنّه أجاب عن أحد طرفي السؤال وسكت عن الآخر.

2..**مقولة الكيف**: و تعني بأنّ يكون كلامك صادقا، وتتحرى فيه النزاهة والشفافية، فلو أنّ معلما خاطب تلميذه بعد أن سلمه نتيجة الامتحان الذي أخفق فيه فقال له:إنّ إجابتك مذهلة، فهنا أخلّ المعلم بمبدأ الكيف، لأنّ كلامه لم يكن صادقا.

3. **مقولة الإضافة أو الملائمة**: أن تجعل مساهمتك في الحوار ملائمة لمقتضى الحال، وليناسب مقالك مقامك، مفيدا لعملية التواصل، فلو أنّ والد تلميذ سأل أستاذ التلميذ عن مستوى ابنه في مادة الحساب؟ فأجابه المعلم بأنّ ابنه له شغف بمادة التاريخ، فهنا خرج المعلم عن قاعدة الملائمة فجوابه لم يكن مُساقًا لمقتضى السؤال.

4. **مقولة الجهة** أو الطريقة: احترز من الالتباس والإجمال وليكن كلامك مرتبا وموجزا فلو أنّ معلما خاطب تلميذه: اذهب وادخل المفتاح في باب غرفتي وأدره ثم ادخل الغرفة وافتح أدراج مكتبي وابحث عن كتاب النحو ثم أغلق باب الغرفة بالمفتاح جيدا واجلب الكتاب،

فهنا حدث خرق نتج عنه عدم الإيجاز في الكلام. وقد وجدت جذور هذا المنهج في مقولة فتجنشتاين "إنّ ما يمكن قوله على الإطلاق يمكن قوله بوضوح، وأماّ ما لا نستطيع أن نتحدث عنه فلا بد أن نصمت عنه[16]

إنّ الهدف من مبدأ التعاون وضع أسس وقوانين منضبطة للحوار، محترمة من طرفي التواصل حتى وإن لم يشعرا بها أو يعرفاها، فهي معروفة و مركوزة في سليقة المتكلمين، يفترض المتخاطبون على بعضهم الاحترام المتبادل لهذه القواعد بما سمح للمتلقي أن ينشئ الدلالة المناسبة، وبعكسه فعلى المخاطب أن ينحرف عن الدلالة الحرفية ويتجاوزها، ويبحث عن دلالة استلزامية غير مباشرة يجدها في مظان القول، وهذا يفسر سبب الفشل في أي حوار لا يحترم تلك القواعد، فلو سأل سائل: من فاز بجائزة نوبل في اللسانيات العربية كان الجواب:وهل توجد لسانيات عربية؟ فالملاحظ أنّ الإجابة تعتبر فاشلة، لأنّها خالفت مبدأ الكم، لكن يبدو أنّ المجيب أراد تعاونا من شكل آخر؛ لأنّه خلق مجالا دلاليا آخر، وهذا ما يؤدي إلى خلق افتراض نفيها للمؤشرات السطحية[17]، مفادها تأخر الدراسات اللسانية في الوطن العربي، ومن ثمّ عدم ارتقائها لمرتبة تخصص لها جائزة في التصنيف والبحث.

وظاهرة الاستلزام الحواري درست بعد غرايس في إطار نظرية الأفعال اللغوية على أساس أنّها ظاهرة تعدد الأفعال اللغوية. بالنسبة للمحتوى القضوي[18]. يعني هذا أنّ الاستلزام الحواري ليس منفصلا عن نظرية الأفعال الكلامية.

رابعا . المعاني المستلزمة من الاستفهام في الآيات الكريمة

استعمل الاستفهام في القرآن الكريم بكثرة، لكن استعماله بمعناه الحقيقي الذي وضع له و هو طلب الفهم انحصر في مساحة ضيقة لأنّ الله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. فهو منزه عن طلب الفهم.[19] لذلك فهو يتخطى هذه الدلالة الحقيقية إلى دلالات أخرى يحددها السياق والمقام أو كليهما معا، ومن هذه الدلالات التقرير، والإنكار، والتعجب، والتهويل، والنفي...وغيرها كثير وسنحاول بيان مختلف هذه المعاني في ضوء نظرية الاستلزام الحواري.

ذكر الباحثون في التداولية أنّ الاستفهام باعتباره معنى نحويا قد يستخدم في مقام مناسب لمعناه الوضعي، وقد ورد الاستفهام بمعان مختلفة عن المعنى الحرفي الذي يدل عليه ظاهر الكلام، وهذا يدلّ على إدراك النحاة لظروف الاستعمال المختلفة، ومن هذه المعاني:

1. الأمر (مجيئه بمعنى الأمر)

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾ **المائدة:** 91، أي انتهوا، ومثله ﴿ **أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ **النور:** 22، أي أحبوا هذا، وكذلك﴿ **أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ **يونس:** 3 أي تذكروا، و﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ **الحديد:** 16 ، أي اخشعوا، ﴿ **وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ**﴾ **آل عمران:** 20، أي أسلموا، ﴿ **وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ **النساء:** 75 أي قاتلوا.

ففي قوله تعالى:"**فهل أنتم منتهون**" نجد أنّ الآيات وردت في سياق الحديث عن الخمر، وقد بيّن قبلها حكم الخمر، بأنها رجس من عمل الشيطان، ثم بيّن ما ينبغي فعله تجاهها وهو الاجتناب "فاجتنبوه" ثم تأتي هذه الآية لتبين أثر شربها في المجتمع، ثم تختتم بقوله تعالى "فهل أنتم منتهون"، فالله عزّوجل لا يستفسر عن مدى انتهائهم من عدمه، لكن المقصود هو الأمر أي: انتهوا وهو المعنى المستلزم ، لذا قال سيدنا عمر: انتهينا يا رب.

كذلك في الآيات الأخرى يخرج الاستفهام عن المعنى الحرفي له إلى معنى الأمر وهو المعنى المستلزم أي: اخشعوا لذكر الله و أسلموا لله، وقاتلوا في سبيل الله، لكنه جاء بلفظ الاستفهام لطبيعة المقام المتمثل في مكانة المؤمنين عند ربهم.

ومما جاء في الشعر عن مجيء الاستفهام بمعنى الأمر قول الأعشى:

ألست منتهيا عن نحت أثلتنا ولست ضائرها ما أطت الإبل

أي انته عنّا فلست تضّرنا.[20]

فالشاعر لا يستفهم عن مدى انتهائه عن ذمّه وانتقاصه لهم لأنّه معلوم وواقع، إنما يقصد أمره بالانتهاء مهددا له بأنّه مهما أتى من قوارع الطعن فلن يضر أصلهم الشامخ مدى الدهر.

وقد يستلزم الاستفهام إضافة إلى الأمر التنبّه كما في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ**﴾ **البقرة:** 285 ،﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ** ﴾ **الفرقان:** 45، ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ**﴾ **البقرة:** 243.

فكل هذه الآيات الكريمة تتضمن فعل كلامي وهو الاستفهام الذي يستلزم معنى الأمر بالتنبه: أي تنبه على هذا واصرف فكرك إليه، وأعجب منه، ويستلزم أيضا تنبيها على الشكر كما في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ** ﴾ **الضحى:** 6

2. الإنكار والتوبيخ

ولمّا ارتبطت قصص الأنبياء في القرآن الكريم بدعوة الأنبياء أقوامهم للإيمان بالله وتوحيده، وإنكارهم ما هم عليه من كفر وضلال وعصيان فقد ورد بعضها في سورة الصافات لأخذ العظة والعبرة منها، قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ **الصافات:**83-87.

في هذه الآيات الكريمة يظهر إبراهيم عليه السلام الطرف الأول في الحوار و أول فعل كلامي تلفظ به هو الاستفهام في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام "ماذا تعبدون"، فجاء أسلوب الاستفهام في هذا السياق منفرا لهم ممآ يعبدون، ومشبعا بدلالة الإنكار والتوبيخ لما يفعلون من عبادة للأصنام، وترك لعبادة الله. سياق توالت فيه الاستفهامات لإرادة محاجّة قومه ومحاولة إقناعهم بالتخلي عن نهج آبائهم وتبني منهج التوحيد الذي جاء به.

وفي تتابع الجمل الاستفهامية ما يوحي بفظاعة الموقف وغرابته ويدّل دلالة واضحة على بلوغ إبراهيم عليه السلام ذروة الغضب والاستهجان لما أقدموا عليه من عبادة ما لا يستحق العبادة، وما يتنافى مع حكمة العقل وسلامة الطبع.

وقد جاءت الجمل محكمة البيان والدلالة؛ فالسؤال الأول كان مبهما وكأنّه يستفهم عن شيء غير محدد، ثم يأتي السؤال الثاني ليفسّر ما جاء في الاستفهام الأول، وهو عبادة الأصنام دون الله كذبا وبهتانا وهو مبعث الإنكار والتوبيخ و "إنّما قدم المفعول لأجله أئفكًا" على المفعول به لأجل التقبيح عليهم بأنّهم على إفك وباطل في شركهم".[21]

ثم يأتي السؤال الثالث"فما ظنكم برب العالمين" تهديدا و وعيدا لهم على ما اقترفوه من شرك وإنكار للخالق رب العالمين، وتوبيخا لعدم فطنتهم وتوقعهم لما سينزل بهم من عقاب، وقد عبدوا غير الله أي بمعنى: هل تظنون أنّه يترككم بلا عقاب وقد عبدتم غيره، فتظافرت أساليب الاستفهام لتشكل قوة ضاغطة على الموضوع، ويحرك الذهن والقلب للبحث عن سواء السبيل.

3. الإنكار

ومثال على ذلك قوله تعالى: ﴿ **قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96)**﴾ **الصافات:** 95-96 ، فعل كلامي استفهامي، استلزم معنى آخر وهو إنكار إبراهيم عليه السلام وتوبيخه لقومه مبيّنا سذاجة عقولهم وضلال مقصدهم، فوقع الفعل "تعبدون" تاليا لهمزة الاستفهام ليتبيّن أنّ الإنكار مسلط على هذا النوع من العبادة، وهو

عبادة ما يصنعه المشركون بأيديهم ثم يتعمق المعنى الاستلزامي وهو الإنكار والتوبيخ ببنية التقابل التي تجمع بين عبادة المخلوق، وتركهم عبادة الخالق الذي " خلقكم وما تعملون"

لقد تلا الأسلوب الخبري الاستفهام في هذه الآية لتكسر النسق وتدفع بالنص نحو الجانب التأثيري الانفعالي، ودفع المخاطب إلى التفاعل والاندماج في النص القرآني، وتمثل معانيه بصورة حية لإقناعه بمحتواه.

وفي استخدام الأفعال المضارعة (تعبدون، تنحتون، تعملون) في الآيتين ما يشير إلى تجدد هذه العبادة واستمرارها إلى عهد إبراهيم عليه السلام الذي حاول تخليصهم منها، وإنقاذهم من شرّها، وهدايتهم إلى دين التوحيد، في حين أسند الفعل الماضي (خلقكم) إلى الله سبحانه وتعالى ليدلل على أسبقية خلق الله لمخلوقاته، وهو الجدير بعبادتها، وتقديسها له.

فهذه التراكيب يجمع بينها السياق الذي وردت فيه فهو سياق الصراع المليء بالمجادلات ومحاولة إقناع الطرف الآخر، فانفعال المخاطب دفعه إلى اختيار الاستفهام وسيلة تعبيرية.

وفي سياق الإنكار يقول الله تعالى في سورة النساء: **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء:** 82.

فالاستفهام هنا يستلزم أمرا بتدبر القرآن وفهمه ونهيا عن الإعراض عنه، وهذا يوجب للمؤمن اللجوء إلى الله تعالى والضراعة إليه وأن يفتح على قلبه وأن يزيل عنه قفله وأن يشرح صدره للحق. وهنا فعل كلامي تلفظ به الله عزّ وجلّ هو الاستفهام، وقد جاء بالهمزة وهي رأس الأدوات وصيغ الاستفهام، ومن أجل ذلك اختصت بالدلالة على معنى الاستفهام:التصور والتصديق.[22]

لكن الاستفهام في سياق هذه الآية يستلزم معنى الإنكار، فالله عزّ وجلّ ينكر على عباده غفلتهم عن القرآن وهو صلاح دنياهم وآخرتهم، قال (أبو حيان): "وهذا الاستفهام معناه الإنكار أي فلا يتأملون ما نزل عليك من الوحي ولا يعرضون عنه، فإنّه في تدبره يظهر برهانه ويسطع نوره ولا يظهر ذلك لمن أعرض عنه و لم يتأمله"[23]، بل يحمل مع الإنكار معنى أشدّ لذعا وهو "التوبيخ والتعجب منهم في استمرار جهلهم مع توفر أسباب التدبر لديهم"[24]

وفي قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ النساء:** 44.

بدأت الآية بفعل كلامي وهو الاستفهام، حيث دخل حرف الاستفهام على النفي (لم)، و بهذا تكون الإجابة بالإثبات في هذا المقام، أي: بلى رأيت والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية من المؤمنين.[25]

4. التعجب

وقد يستلزم الاستفهام معاني أخرى كالتعجب في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ**﴾ **آل عمران:** 23.

وأول فعل كلامي تلفّظ به هو الاستفهام الذي استلزم معنى التعجب، فالله تعالى يقول لرسوله حاملا له على التعجب من حال اليهود (ألم تر) يا رسولنا (الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) أي ألم ينته إلى علمك أمرهم حيث يدعون إلى التحاكم إلى كتاب الله فيما أنكروه واختلفوا فيه من صفاتك وشأن نبوتك ورسالتك[26] والتولي الذي يعني الإعراض والانصراف عن المكان، يستلزم معنى النفور والإباء.

وفي قوله تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ **آل عمران:** 25.

فأوّل فعل كلامي تلفظ به هو الاستفهام الذي يستلزم معنى التعجب والاستعظام فقوله تعالى: "فكيف إذا جمعناهم " تعجب وتهويل.

قال (أبو جعفر): يعني بقوله جل ثناؤه "فكيف إذا جمعناهم" ، فأيُّ حال يكون حالُ هؤلاء القوم الذين قالوا هذا القول، وفعلوا ما فعلوا من إعراضهم عن كتاب الله، واغترارهم بربّهم، وافترائهم الكذب؟ وذلك من الله عز وجل وعيدٌ لهم شديد، وتهديدٌ غليظٌ. وإنّما يعني بقوله: " فكيف إذا جمعناهم" الآية: فما أعظم ما يلقوْن من عقوبة الله "[27]

فالله عزّ وجلّ قال: فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ولم يقل في يوم لأنّ وجود اللام استلزم معنى غير جمعهم في يوم القيامة، ماذا يكون لهم من العذاب والعقاب؟ فالمعنى المستلزم هو فكيف إذا جمعناهم لما يحدث في يوم لا ريب فيه ولما يكون في ذلك اليوم من فصل الله القضاء بين خلقه، ماذا يكون لهم حينئذ من العقاب وأليم العذاب. فمع "اللام" في "ليوم لا ريب فيه " نيَّة فِعْل، وخبرٌ مطلوب قد ترك ذكره، أجزأت دلالةُ دخول "اللام " في" اليوم " عليه، منه .وليس ذلك مع "في"، فلذلك اختيرت "اللام " فأدخلت في "اليوم" ، دون "في" [28] و قوله تعالى: "وفيت" بناء الفعل للمجهول والاستلزام معلوم؛ فالذي يوفي معلوم هو الله عزّ وجلّ وهو الذي يجازي ويعاقب.كما أنّ استعمال صيغة المجهول دلالة على سهولة

القيام بالفعل على الله عزّوجلّ. وفي استعمال صيغة الماضي مع هذا الفعل، رغم أنّ الفعل لم يتحقق بعد، لأنّ المضارع يدلّ على الحال والاستقبال وهذا استلزام تحقق الوقوع أو الوقوع القطعي؛ وقوله تعالى " كلّ" وهو أقوى لفظ يستلزم أنّه لا يخرج منها أحد من الظالمين.

وقوله: "وهم لا يظلمون" تذييل للآية يعني أنّه لا يبخس المحسن جزاء إحسانه، ولا يعاقب مسيئًا بغير جرمه.

قوله تعالى: ﴿ **وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ**﴾ **النمل:** 20.

سياق التعجب واضح في هذه الآية الكريمة التي تحيلنا على قصة سيدنا سليمان عليه السلام حين لا يرى في مجموعة من الطير الهدهد، فتلفظ سليمان عليه السلام بفعل كلامي هو الاستفهام، الذي استلزم معنى آخر هو التعجب؛ حيث كان السؤال في شيء عجيب أو غريب.

وفي هذا السياق نستحضر قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ **البقرة:** 28، وقوله أيضا ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ **البقرة:** 44.

فأول فعل كلامي تلفظ به الله عزّوجلّ في الآيتين الكريمتين هو الاستفهام، وهنا استخدمت أداة الاستفهام لواقعة غير معتادة فاستلزم تعجبا من شيء غريب؛ فكيف تجحدون وجوده أو تعبدون معه غيره. "وكنتم أمواتا فأحياكم" أي قد كنتم عدما فأخرجكم إلى الوجود[29]. والبعث أنكره من أنكره من الناس واستبعده فأقام الله تبارك وتعالى على إمكان ذلك ثمانية أدلة في آخر سورة يس. ففي قوله تعالى "أتأمرون" الهمزة للتقدير مع التوبيخ والتعجب من حالهم.قال (أبو الدرداء): لا يفقه الرجل كلّ الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشدّ مقتا. والغرض أنّ الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبرّ. بل على تركهم له.

5. التعجب والإنكار

و من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ **آل عمران :** 101.

والاستفهام هنا يستلزم الإنكار والتعجب من كفرهم بعد الإيمان . خاصة أنّه صلى الله عليه وسلم فيهم، وكيف هنا يستفهم بها عن الحال، وهي من الأدوات الاسمية التي لا

يجاب عنها إلا بما استفهم وسئل عنه. يقول السعدي: " يوبخ تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى على كفرهم بآيات الله التي أنزلها الله على رسله، و جعلها رحمة لعباده يهتدون بها إليه، ويستدلون بها على جميع المطالب المهمة والعلوم النافعة .فهؤلاء الكفرة جمعوا بين الكفر بها وصدّ من آمن بالله عنها وتحريفها وتعويجها عما جعلت له وهم شاهدون بذلك عالمون بأنّ ما فعلوه أعظم الكفر الموجب لأعظم العقوبة"[30].

قوله تعالى ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا** ﴾ **النساء :** 87.

الاستفهام في قوله تعالى (فمال) يخرج عن الغرض الأصلي له للدلالة على التعجب و لإنكار عمل هذه الفئة، حيث نسبوا السيئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالواجب أنّهم يدربوا عقولهم على تفهم علل الأشياء حتى تكون تصرفاتهم أقرب إلى الصواب.

وقد يستلزم الاستفهام الإنكار والتوبيخ والنفي كما في قوله تعالى: ﴿ **فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا**﴾ **النساء :** 77.

قال (أبو السعود) فيه: "فما لكم مبتدأ وخبر والاستفهام للإنكار والنفي، والخطاب لجميع المؤمنين، لكن ما فيه من معاني التوبيخ متوجه إلى بعضهم والمراد إنكار أن يكون."[31]

فهم كفار لا ريب بل أشدّ الناس عذابا بدليل الاستفهام الثاني في الآية: " أتريدون أن تهدوا من أضل الله"، وفي هذا تأكيد شديد على التوبيخ لتنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي الجواب.[32]

6. التوبيخ والتجهيل

قوله تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ **آل عمران:** 65.

إنّ الفعل الكلامي المتمثل في النداء وبه بدأت الآية الكريمة الخطاب يستلزم تنبيه السامع لسوء فعله وهم اليهود، ثم يلي النداء فعل كلامي آخر هو الاستفهام "لما تحاجون في إبراهيم... "، فالله تعالى ينكر على هؤلاء اليهود والنصارى محاججتهم الباطلة في دين إبراهيم. " فلما تنازعت اليهود والنصارى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في إبراهيم عليه السلام، فقالت اليهود: ما كان إبراهيم إلا يهوديا وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانيا

وقوله: "وما أنزلت التوراة و الإنجيل إلا من بعده" أي أنّ اليهودية والنصرانية حدثتا بعد نزول الكتابين وإنّما نزلا بعد موته بزمان طويل."[33]

والله عزّ وجلّ يقدم أدلة لهؤلاء اليهود والنصارى على أنّ إبراهيم عليه السلام لم يكن يهوديا ولا نصرانيا؛ فالتوراة والإنجيل بعد إبراهيم بزمان طويل وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة، فهذه المحاجة من اليهود والنصارى ظاهرة البطلان واضحة الفساد.

فالنداء فعل كلامي يستلزم نهي أهل الكتاب عن الجدال بالباطل في شأن إبراهيم عليه السلام؛ والاستفهام يستلزم توبيخهم وتجهيلهم في دعواهم أنّ إبراهيم عليه السلام كان يهوديا أو نصرانيا. "فلم تحاجون" استفهام يستلزم التنبيه على الغلط أنّ إبراهيم عليه السلام كان يهوديا أو نصرانيا. وقوله تعالى " أفلا تعقلون" استفهام يستلزم توبيخ وتجهيل اليهود والنصارى فهو يعني: " أفلا تفقهون خطأ قيلكم: إنّ إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا، وقد علمتم أنّ اليهودية والنصرانية حدثت من بعد مهلكه بحين "[34]

7. التقرير

قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿ **قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ**﴾ **الآية** 18.

وهو قول الله عزّ وجلّ على لسان فرعون لموسى عليه السلام. وهنا يقرّر فرعون موسى بشيء ثابت عنده ولكن هذا التقرير وقع على شكل استفهام الذي استلزم معنى آخر هو التقرير، فالتقرير أشدّ تأثيرا في المخاطب، وأدلّ على الإلزام، أي إلزام المتكلم بما يريد المخاطب، فاستلزم قوله "ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين" يريد إقرارا وتثبيتا من موسى عليه السلام أنّه رباه وليدا ولبث فيهم من عمره سنين واستعمل لذلك الاستفهام الذي يفيد التقرير لأنّه أشد تأثيرا بالمخاطب.

قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ **أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ**﴾ **الأنعام**: 6.

الهمزة للاستفهام، والاستفهام يستلزم التقرير المشوب بالتوبيخ أي: "ألم يعلم هؤلاء الذين يجحدون وحدانية الله تعالى واستحقاقه وحده العبادة ويكذبون رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ما حلّ بالأمم المكذبة قبلهم من هلاك وتدمير، وقد مكنّاهم في الأرض ما لم نمكن لكم أيها الكافرون"[35]

فالاستفهام الذي صدرت به الآية الكريمة لتوبيخ الكفار و تبكيتهم، وإنكار ما وقع منهم من إعراض واستهزاء، وهو داخل على فعل محذوف دلّ عليه سابق الكلام ولاحقه.

8. التحضيض

قوله تعالى: ﴿**أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ **التوبة**: 13. فالفعل الكلامي الاستفهامي مستفتح ب"ألا" التي تجعله يستلزم معنى آخر وهو التحضيض، وهذا الأسلوب يريد المتكلم من خلاله حض من يخاطبه على فعل لابدّ للمخاطب إقامته أو على فعل لابد من تركه[36]. فالله عزّ و جلّ استعمل هذا الأسلوب لأنّه أكثر تأثيرا في نفوس المخاطبين وخاصة أنّ القرينة القولية والحالية تشعر بالتلويم

يقول الألوسي: "تحريض على القتال بأبلغ وجه لأنّ الاستفهام فيه للإنكار، والاستفهام الإنكاري في معنى النفي وقد دخل هنا على نفي ونفي النفي إثبات.

وحيث كان الترك منكرا أفاد بطريق برهاني أنّ إيجاده أمر مطلوب مرغوب فيه فيفيد الحث والتحريض عليه بأقوى الأدلة وأسمى الأساليب وقد ذكر سبحانه هنا ثلاثة أسباب كل واحد منها يحمل المؤمنين على قتال المشركين بغلظة وشجاعة."[37]

9. الإبطاء

قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ **الحديد**: 16.

وهنا في هذه الآية الكريمة الاستفهام يستلزم بعدا زمنيا للسؤال، وهو الإبطاء. والمقصود في هذه القضية ليس استبعاد وقوع الفعل وإنما الفعل محقق الوقوع غير أنّ حدوثه بطيء، أو بصورة أخرى تأخر الشيء عن الزمن الذي كان ينبغي أن يحدث فيه، فالخشوع محقق وقوعه عند الله عزّ وجلّ، لكنّه بطيء في زمان انتظاره، رغم أنّه محبوب منتظر.[38]

ففي الآية حث على الرقة والخشوع لله سبحانه عند سماع ما انزله من الكتاب والحكمة والحذر من التشبه باليهود والنصارى في قسوة قلوبهم وخروجهم عن طاعة الله.[39]

10. التنويـــه

قوله تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ**﴾ **آل عمران**: 70. فأول فعل كلامي متلفظ به هو النداء في قوله تعالى (يا أهل الكتاب)، لأنّ النداء

أسلوب خاص ينبه المخاطب من خلاله إلى أمر معين، ثم يليه فعل الاستفهام الذي استلزم معنى التنويه.

تنويه لأهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تكفرون و لم تجحدون بآيات الله، يعني: بما في كتاب الله الذي أنزله إليكم على ألسن أنبيائكم وأنتم تشهدون أنه حق من ربكم.[40]

فالاستفهام هنا تكملة للنداء وزيادة في التوبيخ، لأنّ التوبيخ مع الحضور يقصد بندائه التنبيه على سوء فعله.

11. التهديد والتعظيم

قوله تعالى: ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾ **آل عمران**: 83.

فعل كلامي هو الاستفهام تبدأ به هذه الآية الكريمة ، ليستلزم عدة معاني، فبعد اختلاف اليهود والنصارى وزعم كل واحد منهم بإتباع ملة إبراهيم ينبههم الله على الخطأ في التولي والإعراض، فإضافة كلمة "دين" في هذه الآية الكريمة إلى الله تعالى للتأكيد على أنّه تعالى هو الذي شرعه وتعبّد به الخلق ، فقد أعرض هؤلاء عن دين الله فتوعدهم في قوله (وإليه ترجعون)، تهديد عظيم لمن اتبع غير دين الله، فإلى الله المرجع فيجازي العباد على أعمالهم.

قوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ **آل عمران**:165.

استفهام يستلزم معاني كثيرة يوحي بها سياق الآية الكريمة منها الإنكار، فالله عزّ وجلّ ينكر على المؤمنين قولهم بعد أن أصابتهم مصيبة القتل والجراحات والهزيمة (أنّى هذا) أي من أي وجه جاءت هذه المصيبة ونحن مسلمون.

12. الشماتة والتحسر

قوله تعالى: ﴿ **وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ **الأعراف**: 44.

فالاستفهام في هذه الآية يستلزم الشماتة و التحسر." يخبر تعالى بما يخاطب أهل الجنة أهل النار إذا استقروا في منازلهم ، وذلك على وجه التقريع: أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا (أن "هاهنا مفسرة للقول المحذوف ، و "قد" للتحقيق ، أي : قالوا لهم : (قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم)"[41]

خلاصة

- نتوصل إلى أنّ ظاهرة الاستلزام الحواري تبرز بوضوح في الخطاب القرآني، وتتمثل في خروج كثير من الأساليب، ومنها الاستفهام عن معانيه الحرفية الأصلية إلى معاني مستلزمة يحدّدها السياق والمقام الذي يجري فيه الخطاب.
- يلاحظ أيضا أنّ كتب التفسير كانت تداولية وبامتياز، فقد أشارت إلى كل هذه المعاني المباشرة والمستلزمة في كلّ جزء من كلام الله، كما بيّنت أغراض ومقاصد المتكلمين في كلّ مقام وهي العناصر التي يقوم عليها التحليل التداولي.
- يشكل الاستفهام المجازي على اختلاف أغراضه البلاغية، سواءً كان تقريرا أو إنكارا، عتابا أو توبيخا، تنبيها أو تذكيرا لبنة أساسية في بناء العملية الحجاجية داخل إطار حلقة الحوار وصولا إلى تحقيق الهدف المتوخى ألا وهو الإقناع.
- يسهم أسلوب الاستفهام بنوعيه الحقيقي وغير الحقيقي في بناء العملية التواصلية التبليغية.
- الاستفهام المجازي على اختلاف أغراضه البلاغية ولا سيّما غرضي التقرير والإنكار، يعتبر أسلوبا حجاجيا و إقناعيا ناجعا في عمليتي الحوار و التبليغ.

الهوامش

[1] صلاح، إسماعيل،(2005)، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر، ص78.

[2] صحراوي، مسعود، (2005)، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، ص33.

[3] المرجع نفسه، ص34.

[4] ينظر: العياشي، أدراوي الاستلزام الحواري في التداول اللساني، (2011)، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1 ، ص17، 18.

[5] المرجع نفسه، ص20.

[6] المتوكل، أحمد، اللسانيات الوظيفية : مدخل نظري، (2010)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، ص26.

[7] ينظر: المرجع نفسه، ص27.

[8] ينظر: نحلة، محمود أحمد، (2002)، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجديدة، مصر، ص37.

[9] ينظر: المرجع نفسه، ص 32-33 .

[10] ينظر: المرجع نفسه، ص34.

[11]إيكو، أمبرتو، السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي،(1984)، لبنان، ط1، ص375.

[12] نواري، سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، (2009)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، ط1، ص30.

[13] ينظر:موشلار جاك، القاموس الموسوعي في التداولية، تح: عز الدين المجدوب، (2010)، ج1، تونس، ص267.

[14] ينظر: النجار، نادية،(2013)، الاتجاه التداولي الوظيفي في الدرس اللغوي،مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ص80.

[15] ينظر:بلانشيه فيليب، التداولية من أوستين إلى هوفمان، تر: صابر الحباشة، (2007)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ص84-85.

[16] ينظر:حمود، جمال،(2009)، فلسفة اللغة عند فتغنشتاين، منشورات الاختلاف،بيروت، لبنان، ص247.

[17] ينظر: بن عيسى، أزابيط، (2012)، الخطاب اللساني الغربي، علم الكتب الحديث، المغرب، ص289-290.

[18] المتوكل أحمد، مرجع سابق، ص30.

[19] ا الجرجاني، علي بن محمد الشريف،(1985)، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ص17،18.

[20] ينظر: الآمالي، ج1، ص403.

[21] صفوة التفاسير، قسم 14، ص 49.

[22] البناني، خديجة محمد أحمد ،(2001)، سورة النساء: دراسة بلاغية تحليلية، دط، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1422ه، ص148.

[23] المرجع نفسه، ص137

[24] المرجع نفسه، ص 138.

[25] المرجع نفسه، ص 138.

[26] الأندلسي، أبو حيان ،تفسير البحر المحيط، ج2، ص323..

[27] تفسير الطبري، ج6، ص 158.

[28] المرجع نفسه، ص159.

[29] تفسير ابن كثير، ج1، ص212.

[30] تفسير السعدي، ج3، ص141.

[31] البناني، خديجة محمد أحمد، ص156.

[32] المرجع نفسه، ص 119.

[33] تفسير الواحدي، ج1. ص 216

[34] تفسير الطبري، ج3، ص 415.

[35] التفسير الميسر ، ص128.

[36] حبنكة،عبد الرحمن حسن ، (2010)، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم،دمشق، ص 296.

[37] تفسير الألوسي، ج10، ص 64.

[38] ينظر: حبنكة، عبد الرحمن حسن، مرجع سابق، ص294.

[39] التفسير الميسر، ص152.

[40] ينظر: تفسير الطبري، ج6، ص502.

[41] تفسير ابن كثير،ج2، ص 158.

قائمة المصادر والمراجع

1- إيكو، أمبرتو، السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي،(1984)، لبنان، ط1.

2- بلانشيه فيليب، التداولية من أوستين إلى هوفمان، تر: صابر الحباشة، (2007)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا.

3- البناني، خديجة محمد أحمد ،(2001)، سورة النساء: دراسة بلاغية تحليلية، دط، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1422هـ، ص148.

4- الجرجاني، علي بن محمد الشريف،(1985)، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت.

5- حبنكة،عبد الرحمن حسن ، (2010)، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم،دمشق، ص 296.

6- الألوسي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله، (1994)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

7- حمود، جمال،(2009)، فلسفة اللغة عند فتغنشتاين، منشورات الاختلاف،بيروت، لبنان.

8- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (2000)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

9- الصابوني، محمد علي،(1967)، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر.

10- صحراوي، مسعود، (2005)، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1.

11- صلاح، إسماعيل،(2005)، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر.

12- الطبري، محمد بن جرير، (2000)، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1

13- العياشي، أدراوي الاستلزام الحواري في التداول اللساني، (2011)، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1.

14- بن عيسى، أزابيط، (2012)، الخطاب اللساني الغربي، علم الكتب الحديث، المغرب.

15- ابن كثير،أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (1998)، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1.
16- المتوكل، أحمد، اللسانيات الوظيفية : مدخل نظري، (2010)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط2.
17- موشلار جاك، القاموس الموسوعي في التداولية، تح: عز الدين المجدوب، (2010)، ج1، تونس.
18- النجار، نادية،(2013)، الاتجاه التداولي الوظيفي في الدرس اللغوي،مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر.
19- نحلة، محمود أحمد، (2002)، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجديدة، مصر، ص37.
20- نواري، سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، (2009)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، ط1.
21- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، (1994)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.